وتهادوا ويدل على ان هذا الذى تقرر هو المراد من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم عقبه على جهة التاكيد
والبيان له والاستعطاف المفهوم منه **المسلم اخو المسلم** اى لانه يجمعهما دين واحد ومن ثم قال الله
تعالى انما المؤمنون اخوة فهو كالاخوة الحقيقية وهى ان يجمع الشخصين ولادة من صلب او رحم او منهما
بل الاخوة الدينية اعظم من الاخوة الحقيقية لان ثمرة هذه دنيوية وثمرة تلك اخروية وفي الصحيحين
مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر
وروى ابو داود المؤمن اخو المؤمن يكف عن ضيعته ويحوطه من ورائه والترمذى ان احدكم مرآة اخيه
فان راى به اذى فليمطه عنه **لا يظلمه** اى لا يدخل عليه ضررا في نحو نفسه او دينه او عرضه او ماله بغير
اذن شرعي لان ذلك قطيعة محرمة تنافي اخوة الاسلام بل الظلم حرام حتى الذمى فالمسلم اولى **ولا يخذله**
اى لا يترك نصرته المشروعة سيما مع الاحتياج والاضطرار اليها لان من حقوق اخوة الاسلام التناصر
قال تعالى وتعاونوا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر وقال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما اى بان تكفه
عن ظلمه كما في رواية البخارى او مظلوما اى بان تدفع عنه من يظلمه فالخذلان محرم شديد التحريم دنيويا
كان مثل ان يقدر على دفع عدو يريد ان يبطش به فلا يدفعه او دينيا مثل ان يقدر على نصحه عن غيه بنحو
وعظه فيترك وروى ابو داود ما من امرء مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته وينتقص فيه
من عرضه الا خذله الله تعالى في موضع يحب نصرته واحمد من اذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على
ان ينصره اذله الله تعالى على رؤس الخلائق يوم القيمة والبزاز من نصر اخاه بالغيب نصره الله في الدنيا
والاخرة **ولا يكذبه** بضم اوله واسكان ثانيه كما ضبطه المصنف اى لا يخبره بامر على خلاف الواقع لغير
مصلحة تالف بصيانة نحو نفس او مال لانه لغيرها ذكر غش وخيانة ومن ثم كان اشد الاشياء ضررا
والصدق اشدها نفعا ولهذا علت مرتبته على مرتبة الايمان لان ايمان وزيادة قال تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ولانه يرادف التقوى بدليل اولئك الذين صدقوا واولئك هم
المفلحون المتقون وهى اخص من الايمان فكذا رديفها وبالجملة فقبح الكذب مشهور معلوم لكل ذى لب مستقيم او
ترك الفواحش كلها بتركه وفعلها بفعله موضعه من القبح كموضع الصدق من الحسن ولذا اجمعوا على
تحريمه الا لضرورة او مصلحة **ولا يحقره** بفتح اوله وبالمهملة والقاف اى لا يستصغر شانه ويضع من
قدره لان الله تعالى لما خلقه لم يحقره بل رفعه وخاطبه وكلفه فاحتقاره تجاوز لحد الربوبية في الكبرياء
وهو ذنب عظيم ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم بحسب امرئ من الشر ا ه وروى بضم اوله وبالمعجمة
والفا اى لا يغدر عهده ولا ينقض امانته قال القاضى عياض والصواب المعروف هو الاول وهو الموجود

في غير كتاب

في غير كتاب مسلم ويؤيده رواية ولا يحتقره فالاحتقار ناشئ عن الكبر لخبر مسلم الكبر بطر الحق وغمط الناس
بمعجمة ثم مهملة وفي رواية لاحمد الكبر سفه الحق وازدرا الناس وفي رواية لا يعمط الناس ولا يرا هم شيئا اى
لان المتكبر ينظر لنفسه بعين الكمال ولغيره بعين النقص فيحتقرهم ويزدريهم ولا يراهم اهلا لان يقوم بحقوقهم
ومعنى هذه الجمل ان من حق الاسلام واخوته ان لا يظلم المسلم اخاه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره وللاسلام
حقوق اخر ذكرت في غير هذا الحديث وقد جمعت في قوله صلى الله عليه وسلم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وتخصيص
ذلك بالمسلم لمزيد حرمته لا للاختصاص به من كل وجه لان الذمى يشاركه في حرمة ظلمه وخذلانه بنحو ترك
دفع عدوه عنه والكذب عليه واحتقاره نعم احتقاره من حيث الكفر القائم به جائز قال تعالى ومن يهن
الله فما له من مكرم **التقوى** وهو اجتناب عذاب الله تعالى بفعل المامور وترك المحظور **هنا ويشير
الى صدره ثلاث مرات** اى محل مادتها من الخوف الحامل عليها القلب الذى هو عند الصدر قال الله تعالى
ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فلا عبرة بظواهر الصدور ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم ان الله
لا ينظر الى اجسامكم ولكن ينظر الى قلوبكم اى ان الاعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى وانما يحصل بما يقع
في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته فمن ثم كان نظر الله تعالى بمعنى مجازاته ومحاسبته على
ما في القلب من خير وشر دون الصور الظاهرة اذ الاعتبار في ذلك كله بالقلب كما افاده قوله صلى الله
عليه وسلم الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب وفي
الحديث دليل على ان العقل بالقلب دون الرأس ومر ما في ذلك مستوفى ووجه مناسبة هذا لما قبله الاعلام
بان كرم الخلق عند الله تعالى انما هو بالتقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم فرب حقير اعظم قدرا عند الله عز وجل
من عظماء الدنيا وسئل صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس فقال اتقاهم لله عز وجل وفي حديث اخر الكرم
التقوى وفي الصحيحين الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل
النار كل عتل جواظ مستكبر وروى احمد اما اهل الجنة فكل ضعيف متضعف اشعث ذو طمرين لو اقسم
على الله لابره الحديث وفي الصحيحين تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين
وقالت الجنة لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم فقال تعالى للجنة انت رحمتى ارحم بك من اشاء من
عبادى وقال للنار انت عذابى اعذب بك من اشاء من عبادى وروى احمد افتخرت الجنة والنار فقالت النار
يا رب يدخلني الجبارون والمتكبرون والملوك والاشراف وقالت الجنة يا رب يدخلني الفقراء والضعفاء
والمساكين وذكر الحديث وروى البخارى مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس
ما رأيك في هذا قال رجل من اشرف الناس هذا والله حرى ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع فسكت

Copyright @ King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)